Badi's eloquence in Gibran's literature

Dr. Taiser Jraikous[*]
Dr. Wafaa Jomaa[**]
Mudar Jaluok[***]

(Received 29 / 5 / 2024. Accepted 26 / 6 / 2024)

□ ABSTRACT □

The creative image is an important means that the poet uses to express the secrets and turmoil of his soul, and one of the most prominent techniques by which the writer expresses what is turbulent within himself, by revealing its components with subtle, powerful expressions that make him swim with his imagination, mind, and heart. Literature, in its two types, poetry and prose, is speech that its owner chooses based on its goal and basic function, which is to influence and draw the attention of the recipient in the first place. Hence, it was necessary for the word to include aesthetic values that help the poet reach his goal, and perhaps creative effects are one of the means to achieve his goal.

Key words: The badi'a - Alliteration - the necessity of what is not necessary - the counterpoint - the inflection

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

[*] **professor, department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, University Tishreen, Lattakia, Syria. taiser.jraikous@tishreen.edu.sy**
[**] **Assistant professor , Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, University Tishreen, Lattakia, Syria. wafaa.gomaa@tishreen.edu.sy**
[***] **Ph.D. student in Arabic, University Tishreen. mudar.jaluok@tishreen.edu**

بلاغة البديع في أدب جبران

د. تيسير جريكوس [*]

د. وفاء جمعة [**]

مضر جعلوك [***]

(تاريخ الإيداع 29 / 5 / 2024. قبل للنشر في 26 / 6 / 2024)

ملخّص

تعد الصورة البديعيّة وسيلة مهمّة يستعين بها الشّاعر للتعبير عن خبايا نفسه، واختلاجاتها، وإحدى أبرز التقنيات التي يعبّر بها الأديب عمّا يختلج في نفسه، فيبيّن مكنوناته بتعبيرات رقيقة جيّاشة تجعله سابحاً بخياله وعقله وقلبه. والأدب بنوعيه الشّعر والنّثر كلام ينتقيه صاحبه اعتماداً على ما له من هدف ووظيفة أساسية تتمثّل في التأثير، ولفت انتباه المتلقّي بالدرجة الأولى، ومن هنا كان من اللازم أن يتضمّن اللفظ قيماً جماليّة تساعد الشّاعر على الوصول إلى مبتغاه، ولعل المؤثّرات البديعية هي إحدى الوسائل لتحقيق مرماه.

الكلمات المفتاحيّة: البديع– الجناس– لزوم ما لا يلزم– الطباق– التصريع.

حقوق النشر :مجلة جامعة تشرين– سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

[*] **أستاذ، قسم اللّغة العربيّة، اختصاص النحو والصرف، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.**

[**] **مدرس، قسم اللّغة العربيّة، اختصاص النحو والصرف، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.**

[***] **طالب دكتوراه لغة عربية، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.**

مقدّمة:

تعد الظواهر البديعية المتمثلة بقسميها اللفظي والمعنوي تقنيات أسلوبية يستعين بها الأديب في شعره ونثره، فيستخدم ألوانها من أجل الابتكار، ومن أجل تحقيق وظائف فنية تتمثّل بتحسين النص الأدبي، وإنتاج الدلالة المطلوبة. وتعنى هذه الدراسة بتتبع بعض الظواهر البديعية في أدب جبران تتبعاً وصفياً لتبيّن بلاغتها، وفنيتها ودورها في إكساب النَصّ الجبراني جمالاً على مستوى الشكل، ودلالةً على مستوى المعنى.

1. جبران الأديب البارز:

– حياته:

جبران خليل جبران هو ذاك الأديب اللبناني العالمي الذي انطلق من ظلال الأرز ليجلس على عرش المجد، متقمصاً روح الطبيعة، حاملاً أوجاع الناس.

ولد جبران في السادس من كانون الثاني من عام ألف و ثمانمئة وثلاثة وثمانين في بشرّي في لبنان، أبوه هو خليل جبران الرجل السكير المهمل لبيته وعائلته، وأمه كاملة ابنة الخوري اسطفان رحمة[1]، وقد كانت له السند والعضد، وقد ظهر تأثير أمه في أدبه، ومما قال: "كلّ شيء في الطبيعة يرمز ويتكلّم عن الأمومة" [2].

عاش جبران في مجتمع محافظ يسيطر عليه سلطتان، سلطة الأب، وسلطة رجال الدّين، وقد بدا تأثير ذلك أثره فيما ألّف ونظم. التحق جبران بمدرسة بشرّي، وأنهى دروسه الابتدائية فيها. وفي عام ألف وثمنمئة وخمسة وتسعين هجر لبنان متوجهاً برفقة عائلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وهناك نمّى موهبته في الرسم والتصوير، فعرض معلموه رسوماته على أحد المصورين المشهورين الذي عمل توجيه موهبته بالطريقة المثلى [3].

عاد جبران إلى لبنان بعد عامين راغباً في تعميق معارفه بلغته العربية، فانتسب إلى مدرسة الحكمة إحدى أعرق المدارس الوطنية في بيروت آنذاك، والتي أنشأها المطران يوسف الدّبس راعي أبرشية بيروت للموارنة [4]، فدرس العربية على يد الأستاذ يوسف الحداد الذي نصحه بقراءة كتب، من مثل: «كليلة ودمنة، والأغاني، ونهج البلاغة، والتوراة»، فعمل بهذه النصيحة، وعُرِفَ جبران في مدرسة الحكمة بسرعة الإدراك، والنّهم للعلم، وبعناده، واستقلاله بالرأي [5]. لاحقاً أنشأ مجلّة «النّهضة» التي كان يضمّنها شيئاً من رسومه، وكان من أبرز رفقائه ومساعديه النحّات يوسف الحويك، والشّاعر بشارة الخوري [6]. أقام جبران أول معرضٍ لرسوماته في عام 1904 في بوسطن، فتعرّف على ماري هاسكل التي كان لها دور بارز في حياته. وكان له في بوسطن نشاط سياسي إلى جانب نشاطه الفنّي والأدبي والثقافي، فأسّس عام1911

---

[1] – ينظر: أيوب، نبيل، *نص القارئ المختلف*، مكتبة لبنان، ط1، (د. ت.)، ص266.

[2] – جبران، جبران خليل، *المؤلفات الكاملة*، قدّم لها وأشرف عليها: ميخائيل نعيمة، دار صادر، بيروت، لبنان، (د. ط.) ، ص5.

[3] – ينظر: جبر، جميل، جبران الفيلسوف، مؤسسة نوفل، ط2، بيروت، 1983، ص20.

[4] –ينظر: المرجع نفسه، ص22.

[5] – ينظر: المرجع نفسه، ص18.

[6] – ينظر: جبر، جميل، جبران الفيلسوف، ص32.

جمعيـة «الحلقـات الذهبيـة»، وكـان دسـتور الجمعيـة يلـزم بسـريّة المقـرّرات، ويفـرض التّعـاون الوثيـق بـين الأعضـاء، والتّحلـي بـالأخلاق الرفيعـة، لكـن هـذه الجمعيـة لـم تـدم طـويلاً بـل انحلّـت؛ لأنّهـا لـم تنـال قبـولاً عنـد المغتربين [7].

تـوفي جبـران عـام 1931 فـي نيويـورك عـن عمـر صـغير نـاهز الثمانيـة والأربعـين عامـاً متـأثراً بإصـابته بمـرض السّل، وتلف في كبده؛ وقد دُفِن في لبنان [8].

2. بلاغة البديع في أدب جبران:

نظـر جبـران إلـى البيئـة التـي قصـدها، فوجـد نفسـه فـي مكـانٍ جديـدٍ، وعـالمٍ مختلـف عـن منبتـه الـذي نبـت فيـه، فرغـب أن ينمـاز عـن موروثـه المشـرقيّ، فجـدّد، وبعـث فـي إبداعـه روحـاً جديـدةً كانـت كفيلـةً بـأن تجعـل منـه أدبـاً ناهضـاً متوثبـاً، لا يتقـاعس ولا يتخلّـف، ولا ينـتكس، ولا يـرتكس. لقـد ضـرب جبـران فـي أكثـر الفنـون الأدبيّـة، وجـاء فيهـا بأفـانين عجـاب، وشـقّ فيهـا طرقـاً وفنونـاً جديـدة حتّـى لتعـدّ مؤلّفاتـه أحـداثاً لهـا قيمتهـا الكبـرى فـي حيـاة النّهضـة الأدبيّـة الحاضـرة فـي الشّـرق العربـيّ. لقـد نظـم الشّـعر فتفـوق فيـه، وأبـدع فـي نظمـه، واختيـار موضـوعاته، وقوالبـه [9]. كمـا قـدّم مـن النثـر مـا يثيـر الاسـتغراب والاسـتعجاب فـي الأفكـار وطرائـق العـرض، وقـد عالجـت أقاصيصـه حـوادث عاطفيّـة، ووجدانيّـة، واجتماعيّـة، وتحلّـت أعمالـه بنزعتهـا الفلسـفيّة، والرّوحيّـة، ففـتح الطّريق أمام الأدب الحديث في الوطن البعيد لإبداع أعمال متحرّرة من التّقليد، وغير متعصّبة للقديم [10].

كـان جبـران صـاحب طريقـة أنيقـة فـي فـن البيـان والبـديع، ولـم يكتـف بتوظيـف مظـاهر البـديع بوصـفها نوعـاً مـن الحلـى، والزخرفـة اللفظيـة التـي لا طائـل مـن ورائهـا، ولا جـدوى منهـا بـل جعـل منهـا أداة لتحديـد المعنـى، وتوجيـه الـدلالة، فالبـديع علـى حـدِّ قـول البلغـاء: "خلاصـة علـم المعـاني والبيـان ومصـاص سـكرهما"[11]. لقـد كانـت الكلمـات بيـدي جبـران أشـبه بحبّـات الـذّهب واللآلـئ والـدرر يؤلّـف بينهـا تأليفـاً بـديعاً، ويركّبهـا تركيبـاً أنيقـاً لطيفـاً، "فالألفـاظ الرائقـة بمنزلـة الـدرر واللآلـئ وهـو علـم المعـاني، وتأليفهـا وضـمها بعضـها إلـى بعـض هـو علـم البيـان، ثمّ وضعها في المواضع اللائقة بها عند تأليفها وتركيبها هو علم البديع"[12].

أَهَمِّيَّةُ الْبَحْثِ وَأَهْدَافُهُ:

يهـدف هـذا البحـث إلـى أمـرين رئيسـين، الأوّل يكمـنُ فـي السّـعي إلـى تنـاول تجربـة جبـران خليـل وفـق مـدخلٍ مختلـف يجعـل مـن البـديعيّات وجماليّـات الـنص الشّـعري، محـورين يـدور عليهمـا قـراءة الـنّص الشـعري، والأمـر الثـاني: محاولـة إيجـاد أثـر هـذه المـؤثرات فـي بلاغـة الـنّص عبـر قـراءة متجـدّدة تسـافر مـن الكلّـي إلـى الجزئـي ومـن الجزئـي إلـى الكلـي فـي محاولـةٍ لإضـافة شـيءٍ إلـى محـاولات السابقين من خلال الاستفادة من البنى النّصّية.

---

[7] – ينظر: المرجع نفسه، ص102.

[8] – ينظر: المرجع نفسه، ص103.

[9] –ينظر: الناعوري، عيسى، *أدب المهجر*، دار المعارف، مصر، ط3، (د. ت.)، ص 18.

[10] –ينظر: المرجع نفسه، ص 19.

[11] – العلوي، يحيى بن حمزة، *الطراز المتضمن لأسرار البلاغة*، مطبعة المقتطف، دار الكتب الخديوية، 1914، ج3، ص247.

[12] –المصدر نفسه، ج3، ص247.

وسنسعى في قراءتنا المتأنّية الانطلاق من داخل التّحقّقات النّصيّة نحو فضاءاتها الممكنة، فيكون اكتشاف الخارج النّصي من خلال ما يحيل عليه الدّال وصنعه لفضاءٍ نصّي؛ لذلك سيتعانق الداخل والخارج انطلاقاً من الدّاخل بما تتيحه إمكانات النّص.

مَنْهَجِيَّةُ الْبَحْثِ:

والمنهج الّذي نودُّ تبنّيه يعتمد على الوصف مشفوعا بدراسة تحليلية، ويتّجه إلى تحليل النّظام اللّغوي الّذي ينتظم عليه شعر جبران خليل جبران وقراءة سماته في حدود الغاية الجماليّة لهذا الأدب باعتبار معناه الكلّي.

أولاً: بلاغة المظاهر البديعية اللفظية:

ا. الجناس:

استعان جبران بالمؤثرات البديعية في أدبه نثراً وشعراً، ومن هذه المظاهر الجناس. والجناس من أبرز المؤثّرات البديعية التي تحقّق انسجاماً في البنية الشّكليّة من خلال الاتفاق والتّماثل والتشابه بين وحدتين صوتيتين تحدثان إيقاعاً موسيقيّاً، ونغماً متشابهاً في الشكل، مختلفاً في الدلالة، فهو يشتغل على المستويين الخارجي والدّاخلي في حركة تحويلية تنطلق من اللفظ نحو المعنى" [13]، وقد ورد في لسان العرب في مادّة (ج ن س): «والجمع أجناس وجُنُوس [...] والجِنْسُ أعمّ من النّوع، ومنه المجانسة والتّجنيس. ويقال: هذا يجانس هذا؛ أي: يشاكله»[14]. وسُمّي هذا المحسّن بالجناس لأنّ حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنسٍ واحد [...] وحقيقته أن يكون اللّفظ واحداً والمعنى مختلفاً، فهو تكرير اللّفظ واختلاف المعنى، ومن أمثلته عند جبران قوله قصيدته «ماذا تقول السّاقية» [15]:

سرْتُ في الوادي وقد جاء الصّباح مُعلناً سرّ وجودٍ لا يزول
فإذا ساقية بين البطاح تتغنّى وتُنادي وتقول
ما العظيم بالمقام إنّما المجد لمن يأبى المقام
ما النّبيل بالجدود كم قتيلٍ كان من قتلى الجدود

والجناس هنا آلية من آليات الإيقاع الموسيقي، فلفظة «المقام» في البيت الثّالث التي تعني في الشّطر الأول «جماعة من النّاس» [16]، ودلّت في الشّطر الثّاني على «موضع الإقامة» [17]. كما تعدّدت في البيت الرّابع مدلولات «الجدود»، فوردت هذه اللّفظة مرتين، وهما متساويتان من حيث التّركيب والوزن،

[13] – جدوع، عزة محمد، *البديع دراسة في البنية والدلالة*، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1429، ص171.
[14] – ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، مادّة (جنس).
[15] – جبران، جبران خليل، *المؤلفات الكاملة*، ص615.
[16] – مجمع اللغة العربية بالقاهرة، *المعجم الوسيط*، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004.، مادة: قوم.
[17] – المرجع نفسه، مادة: قوم.

إلّا أنّهما تختلفان من حيث المعنى، فالجدود الأولى: جاءت هنا جمع «جدّ» «والجَدُّ: أبو الأب، وأبو الأم» [18]. أمّا لفظة «جدود» الثّانية، فهي بمعنى «الحظّ أو الرزق» [19].

ويأتي الجناس النّاقص بوصفه نوعاً آخر من أنواع الجناس، وقد ورد الجناس الناقص في قوله[20]:

أعطني الناي وغنِّ فالغِنا نارٌ ونور

وأنين الناي شَوْقٌ لا يُدانيه الفتور

فهذا الجناس الناقص القائم بين "نار ونور" منح البيت إيقاعاً، يُضاف إلى ذلك، ذاك التناغم بين النون والراء وانسجامها بوصفها أصوات ذلقيّة، مخرجها من ذلق اللسان. وقد أسهم هذان الصّوتان في التقارب اللفظي بين الكلمتين، ومنحاهما جرْساً موسيقيّاً عذباً، فالجناس "يقوم على توظيف الإمكانات الصّوتيّة للأبجديّة العربية داخل سياق موسيقى الصوت المفرد والأصوات المجانسة مع موسيقى النص كله" [21]. ومن أمثلة الجناس قوله[22]:

فهو الأريب ولكن في تصلبه حتّى وللحقّ بُطلٌ بل هو البَطَرُ

وهنا ورد الجناس بين "بطل وبطر"، وهو جناس ناقص وقع الاختلاف على حرف واحد وحركة مختلفة، لكن التشكيل الذي اختصت به هاتان الكلمتان لم يعطِ الإيقاع المرجو من الجناس. وكأنّ الأذن لم تسمع سوى تكرار حرف الطاء لا غير، بينما الجناس في حالاته المتعددة ينبغي أن تدركه الأذن بشكل مباشر. وقال جبران [23]:

فالصّبا وهي عليل ما بها سقم العليل

فالجناس هنا تام، فالصّبا الأولى تعود على الصّبا، وهي من صفاته. أمّا لفظة "العليل" الثانية، فهي المرض وتعود على الإنسان، فالإنسان هنا هو العليل. وقد أنجز هذا الجناس مفاجأة سمعيّة لدى المتلقّي، فجعله يقف قليلاً للبحث في المعنى الذي أراده الشاعر من البيت، والذي تحقّق على مستوى الموسيقى الشعريّة، فهذه المشابهات الصوتية ساعدت في حمل المتلقّي على الوقوف قليلاً عند هذا التشابه اللفظي والبحث في معنى كلّ من الكلمتين لإدراك الفرق بينهما، فقد كان "التوازن والتوازي الصوتيان لا يعنيان اللفظ مجرداً من السياق أو المعنى بل صوت يرتبط بدلالة ومعنى، وقد يتوازى معهما، ولكنّه يظلّ مصوّراً لهما"[24]. ومن أمثلة الجناس في شعر جبران قوله [25]:

---

[18] – المرجع نفسه، مادة: جدّ.

[19] – المرجع نفسه، مادة: جدَّ.

[20] – جبران، جبران خليل، *المؤلفات الكاملة*، ص359.

[21] – الجيار، مدحت، *موسيقى الشعر العربي (قضايا ومشكلات)*، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، 1994، ص198.

[22] – جبران، جبران خليل، *المؤلفات الكاملة*، ص375.

[23] – المرجع نفسه، ص 358.

[24] – يوسف، حسني، *موسيقى الشعر العربي*، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1989، ص200.

[25] – جبران، جبران خليل، *المؤلفات الكاملة*، ص360.

فالألى سادوا ومادوا وطغوا بالعالمين

فالجناس هنا وقع بين اللفظين "سادوا ومادوا"، وأعطى اللفظين البيت إيقاعاً موسيقياً يناسب المعنى، وأكسبت الحركة الإيقاعية التي تناسب حركة الطغاة الذين يسيرون في الأرض ويعيشون فيها. إن توظيف الجناس "لكي يكون مقبولاً مؤدّياً ما يُراد منه، فلا بدّ أن يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه، وساق المتكلّم نحوه، وحتّى تجده لا تبتغي به بدلاً، ولا تجد عنه حولاً"[26].

2. الموازنة:

ومن المظاهر البديعية الموازنة. والموازنة نوع من أنواع البديع اللفظي يقع في النثر والنظم ، يعني "تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية" [27]نحو قوله تعالى: ﴿**وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ**﴾[28]، فلفظتا "مصفوفة ومبثوثة" متساويتان في الوزن لا في التقفية؛ لأنّ الأوّل على الفاء، والثاني على الثاء، ولا عبرة لتاء التأنيث لما هو معروف في علم القوافي، ومن أمثلة الموازنة في شعر جبران قوله [29]:

فذا يعربد إن صلّى وذاك إذا أثرى وذلك بالأحلام يختمرُ

ونجد أنّ الموازنة أعطت هنا نغماً؛ إذ جعل بيته أقساماً ثلاثة ، كل جزء مؤلّف من اسم إشارة وأسلوب شرط، وكرّره مرّات ثلاث، وهذا الوقف بين الجزاء أعطى موسيقى خاصّة، ونغماً لطيفاً، وتُلحظ الموازنة في قوله [30]:

فالسّجن والموت للجانين إن صغروا والمجدُ والفخرُ والإثراءُ إن كبروا

وقد جاء هنا بجملة اسمية وشرط وكرّرهما، فانقسم البيت على جزأين، وتعلّق أحدهما بالآخر من جهة المعنى أوّلاً، ومن جهة الصّوت والإيقاع ثانياً، ولو اكتفى الشّاعر بجزءٍ واحدٍ منهما لحدث خللٌ في المعنى والإيقاع، وكذلك في قوله [31]:

وفي الزرازير جُبنٌ وهي طائرةٌ وفي البزاةِ شموخ وهي تحتضرُ

وهنا الموازنة دعمت المعنى، فوجّهه الشاعر حيث يريد، كما منحت الموازنة البيت نغماً جميلاً من خلال الاعتماد على الجمل الاسميّة، والتناغم بين أحرف الجهر والهمس. ومن الأمثلة الأخرى قوله [32]:

ففي انتصارات هذا غلبةٌ خفيت وفي انكسارات هذا الفوزُ والظفر

---

[26] – المراغي، محمود أحمد حسن، *في البلاغة العربية (علم البديع)*، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ/ 1991، ص120.

[27] – عتيق، عبد العزيز، *علم البديع*، دار النهضة، بيروت، ط1، 1985، ص 239.

[28] – الغاشية (15) ، (16).

[29] – جبران، جبران خليل، *المؤلفات الكاملة*، ص354.

[30] – المرجع نفسه، ص355.

[31] – المرجع نفسه، ص356.

[32] – المرجع نفسه، ص360.

وكذلك قوله [33]

فالهوا ماءٌ تهادى والندى ماءٌ راكد

وقوله [34]:

وجدال وضجيج واحتجاج وخصام

نلاحظ أنّ الموازنة أكسبت الأبيات إيقاعاً خاصّاً قريباً لطيفاً على أذن المتلقّي يمكنه من خلال هذا الإيقاع إضفاء لحن إلى الكلمات "فالتمثيل الصّوتي يتعلّق بالحروف، وبالصّيغة اللفظية، وبالتكرار الصّوتي والتّقسيم والتّقطيع اللغوي"[35].

3. التصريع:

ومن المظاهر البديعيّة في شعر جبران التصريع. والتصريع في الشّعر لغةً هو تقفية المصراع الأوّل مأخوذ من مصراع الباب، وهما مصراعان. وإنّما وقع التّصريع في الشّعر ليدلّ على أنّ صاحبه مبتدئ" [36]. والتّصريع وسيلة من وسائل إثراء الجانب الموسيقي للمطالع الشّعريّة، ويُعرّف بما يأتي: "أن يكون عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقص بنقصه، وتزيد بزيادته" [37]. ويعدّ البلاغي المعروف قدامة بن جعفر من أوائل البلاغيين الذي أولوا اهتماماً بالتّصريع، وقد جعله في "باب نعت القوافي"، وعدّه عاملاً من العوامل التي ينماز بها الشّعر عن النّثر، وقد وافقه ابن رشيق القيرواني الرأي، ففسّر ورود التّصريع في الابتداء إجراءً تنبيهياً على أنّ المبدع أخذ في كلام موزون غير منثور [38]. والتصريع هو "دلالة على سعة القدرة في أفانين الكلام" [39]، زمن أمثلته في شعر جبران [40]:

الخير في الناس مصنوع إذا جُبِروا والشّرُّ في النّاس لا يفنى وإنْ قُبِرُوا

وقد وقع التصريع هنا في "جُبِرُوا / قُبِرُوا"، ومن أمثلته قوله [41]:

يا نفس لولا مطمعي بالخلد ما كنت أعي

والتصريع هنا ورد في لفظتي "مطمعي، أعي". والتصريع من التقنيات التي تتيح رنيناً موسيقياً، وخصيصة من خصائص الشّعر، وأداة موسيقية، و"شريكة الوزن في الاختصاص بالشّعر" [42].

---

[33] – جبران، جبران خليل، *المؤلفات الكاملة*، ص361.

[34] – المرجع نفسه، ص364.

[35] – يوسف، حسني، *موسيقى الشعر العربي*، ص188.

[36] – ابن منظور الإفريقي، *لسان العرب*، مادّة: صرع.

[37] – ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، *العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده*، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، (د. ت.)، ج1، ص 173.

[38] – المصدر نفسه، ص173.

[39] – ابن جعفر، قدامة، *نقد الشعر*، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، الكليات الأزهرية، القاهرة، 1978، ص86.

[40] – جبران، جبران خليل، *المؤلفات الكاملة*، ص353.

[41] – المرجع نفسه، ص598.

[42] – ابن رشيق القيرواني، *العمدة*، ج1، ص151.

4. رد العجز على الصدر:

وهو مظهر بديعي صوتي يعني "أن يأتي أحد اللفظين في آخر البيت، والآخر في صدر الصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر الثاني" [43]. وقد استعان به جبران في إقامة علاقات قويّه بين ألفاظه، ومنحه هذه المظهر تناغماً صوتياً عن طريق التكرار والتردد، ومن أمثلته في شعر جبران قوله في قصيدة "البلاد المحجوبة" [44]:

أمنامٌ يتهادى في القلوب فإذا ما استيقظت ولّى المنامْ

وهذا النوع من العلاقات البديعية الصوتية لم يأت متكلفاً بل محبباً، وقد أفاد منه جبران في إعطاء بيته إيقاعاً موسيقيّاً مباشراً، والتنويع في أساليب الإيقاع. ومن أمثلته قوله في قصيدة "بالأمس" [45]:

وسقامي هامسٌ في مسمعي من يريد الوصل لا يشكو السقام

وكما يُلحظ فإنّ هذا المظهر البديعي وفّر تكراراً كان له دور في إيقاع البيت، وأسهم على المستوى الدلالي في تحديد المعنى، فعبّر الشّاعر عن فكرته ببساطة وفنية واضحة.

5. لزوم ما لا يلزم:

وهو أن "تتساوى الحروف التي قبل روي الأبيات الشعرية" [46]. وقد أكثر الشاعر في أدبه من استعمال هذا المظهر البديعي، ومن ذلك [47]):

ليتني مثلك روحاً في فضا الوادي أطير
أشربُ النور مُداماً في كؤوسٍ من أثير

وقد أسهم كذلك هذا المظهر بإيقاع البيت، وأكسبه حلاوة جلية.

ثانياً: بلاغة العلاقات المعنويّة:

والمظاهر المعنويّة كثيرة، وهي حاضرة في أدب جبران، وفيما يأتي نتخيّر لونين منها، هي:

(1) الطباق:

والطّباق من الظواهر البديعيّة المعنوية التي «تزيد الكلام حسناً وطلاوةً، وتكسوه بهاءً ورونقاً» [48]. ويعرّف على أنّه "الجمع بين الشيء ومقابله أو الشيء وضدّه" [49]، وقد أُطلِقَ عليه مصطلحات مختلفة، منها: المطابقة، والتّطبيق والتّضاد والتّكافؤ[50]. ومن أمثلته في أدب جبران [51]

---

[43] – الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن، *الإيضاح في علوم البلاغة*، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ص220.

[44] – جبران، جبران خليل، *المؤلفات الكاملة*، ص 599.

[45] – المرجع نفسه، ص613.

[46] – ابن الأثير، *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، الكتبة العصرية، بيروت، 1990، ج1، ص262.

[47] – جبران، جبران خليل، *المؤلفات الكاملة*، ص607.

[48] – الهاشمي، أحمد، *جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع*، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدّة، د. ط. 2017، ص 301.

[49] – عبّاس، فضل حسن، *أساليب البيان*، دار النفائس، عمّان، الأردن، ط2، 2009، ص363.

[50] – قاسم، محمد أحمد/ ديب، محيي الدين ديب، *علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)*، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2003، ص 65.

هذا ما قالته الساقية لصخورٍ عن يمين ويسار

فالطّباق هنا وارد بين لفظتي "يمينٍ ويسار"، فالساقية تنثر حكمها وكلامها البليغ في كل اتجاه، وهذه الساقية رمز قد يرمز إليه، فكما الساقية تعطي من مائها كل من أو ما يأتي في طريقها، فتحيي بمائها القلوب والنفوس، فكذلك الشاعر كذه الساقية يريد أن يخاطب الأذهان التي تقرأه، ليحيي فيها الأفكار العظيمة والحكيمة. ومن أمثلة المطابقة قوله [52]:

قال مرتاباً أنا السّرُّ الذّي يتهادى بينَ روحٍ وبدن

وهنا سر جبران موجّه للبدن كي يحييه، والروح كي يخلدها بأروع الأفكار وأسمى المعاني. وجمال الطباق هنا وبلاغته يكمن في تداعي المعاني، فالضدّ يجعل الذّهن يستدعي ما يقابله أو يضاده، ويؤدّي إلى نوع من المقارنة كما يجعل الأشياء تتمايز وتتضح.

(2) المذهب الكلامي:

ويعرّف أهل البلاغة هذا اللون بقولهم: "أن يورد المتكلّم حجّة لما يدّعيه على طريقة أهل الكلام" [53]؛ ليثبت صحّة دعواه، ويبطل دعوى الخصم بحجّة قاطعة عقلية. والباحث في هذا اللون في أدب جبران، يجده بكثرة، منها قصيدته التي عنونها بـ "ماذا تقول الساقية" [54]:

سرت في الوادي وقد جاء الصّباح معلناً سرّ وجود لا يزول
فإذا ساقية بين البِطاح تتغنّى وتُنادي وتَقُول
ما الحياة بالهناء إنّما العيشُ نُزُوعٌ ومَرَام
ما الحكيم بالكلام بل بسِرٍّ ينطوي تحت الكلام
ما العظيم بالمقام إنّما المجد لمن يأبى المُقام

ويُلحظ توظيف جبران للمذهب الكلامي من خلال احتجاجه العقلي، فالحياة عند البعض هي هناء، لكنّها عند جبران هي أهداف وطموح، والحكمة ليست ألفاظاً تُركّب، بل الحكمة قابعة في مغزى الكلام الذي يستشف بذكاء. ومع أنّ السلوب الكلامي أقرب ما يكون إلى التفلسف إلّا أنّ جبرن استطاع أن يستغل ذلك بأناقة ولطف وشاعرية ليخدم الفكرة التي يريد أن يوصلها.

الاستنتاجات والتوصيات

إنّ هذه الدّراسة مقاربة علميّة لموضوع بلاغة البديع في أدب الأديب العالمي جبران خليل جبران، فتأسيساً على النماذج المختارة استطاع جبران أن يعبّر عمّا يختلج في نفسه، فيبيّن مكنوناته بتعبيرات رقيقة جيّاشة تجعله سابحاً بخياله وعقله وقلبه. والأدب بنوعيه الشّعر والنّثر كلام ينتقيه صاحبه اعتماداً على ما له من هدف ووظيفة أساسية تتمثّل في التأثير، ولفت انتباه المتلقّي بالدرجة الأولى، ومن هنا كان من اللازم أن

[51] – جبران، جبران خليل، *المؤلفات الكاملة*، ص615.
[52] – المرجع نفسه، ص608.
[53] – الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن، *الإيضاح في علوم البلاغة*، ص208.
[54] – جبران خليل جبران، المؤلفات الكاملة، ص615.

يتضمّن اللفظ قيماً جماليّة تساعد الشّاعر على الوصول إلى مبتغاه، ولعل الصورة البديعيّة التي قدّمها جبران كانت هي إحدى الوسائل لتحقيق مرماه. وقد توصّلت هذه الدراسة جملة من النتائج، أهمّها:

1. تكشف هذه الدراسة أهمية علم البديع تطبيقياً، فهو ليس مجرد حلى لفظية أو معنوية أو زخرفة بل أداة تعبيرية تسهم في توجيه المعنى وتشكيل الصياغة الأدبية إسهاماً جلياً، وتكسب الأسلوب رونقاً وبهاءً بشرط ألا تطغى المظاهر البديعية على النواحي الفنّيّة.

2. تمكّن جبران من توظيف ألوان البديع المختلفة في أدبه توظيفاً فنّيّاً، فأعطى لأدبه بعداً خاصّاً.

3. تمكّن جبران بمقدرته الأدبيّة الفذّة أن يقيم علاقات صوتيّة ومعنوية كثيرة بين ألفاظ شعره، وأن يبرع في ذلك براعة واضحة.

4. مثّل أدب جبران طفرة في عالم البديع، فلوّن أدبه، وكثّفه بكثير من المظاهر البديعية.

5. ومع أنّ جبران استند بوضوح إلى المظاهر البديعية في أدبه إلا أن ذلك لم يكن ممجوجاً سمجاً بل جاء أدبه مزخرفاً لطيفاً.

6. يعدّ أدب جبران أدباً عالميّاً؛ نظراً لأفكاره البعيدة عن التّطرّف الفكري، أو العرقي، أو الدّينيّ، ولمواقفه الإنسانية، وتعاطفه النّبيل مع آلام الإنسان.

7. نزع جبران إلى التّجديد والإبداع في أدبه وفي مستويات اللّغة جميعها. فأسهم في إدخال لونٍ خاصٍّ إلى اللّغة الإبداعيّة، مختلفاً عن اللّغة التّقليديّة السّائدة، و ابتدع استعمالات لغويّة جديدة في اللّغة، ومهّد الطّريق لتخليص الأديب المبدع من القيود المفروضة عليه، فكان الخيال عنصراً أساسيّاً فاعلاً في كتاباتهم، وهذا ما مكّنه من طرح آراء توضّح أفكارهم ببساطة الممتنع. وعلى الرّغم من تجديده في اللّغة الأدبيّة التي ابتدعها واعتمدها، فإنّه لم ينسلخ عن التّراث العربي، ولم ينفِ تشبّثه بالموروث الأدبيّ الشّرقيّ، وافتتانه بلغة الضّاد.

8. ارتكز جبران بوضوح على الظواهر البديعية اللفظية والمعنوية بغرض التعبير عن أفكاره، فحقّقت نصوصه الاختلاف المطلوب.

9. كانت نصوص جبران ثرية بالرموز؛ إذ وظّف الرّمز بوصفه أداةً للتعبير عن المعاني والقيم المختلفة التي توصّف الوجود بأشكاله المختلفة، وقد استطاع بواسطة الظواهر البديعية التعبير عن المحسوس واللّا محسوس. وتعدّ رموز الطّبيعة ومفرداتها من أكثر الرّموز والمفردات وروداً في أدبه؛ لأنّها تمثّل الفطرة الأساسيّة للوجود، وتحاكي الجمال الأزلي.

10. على مستوى المعاني كانت المعاني التي طرقها متجددة؛ لأنّها مستمدّة من الحياة المتجدّدة والمتطورة. أمّا ألفاظه، فجاءت بسيطة ومرنة ومستوحاة من لغة الحياة؛ أي: أنّها مستعملة ومتداولة ومتعارف عليها بين النّاس.

11. ظهرت مؤثرات فلسفيّة قديمة وحديثة، وبدت ميوله الصّوفيّة الشّرقيّة واضحة. لقد جمع جبران في أدبه بين الفنيّة الجماليّة والفلسفيّة، فاعتنى بمسائل فلسفيّة من محبّة ومعرفة، وعدل وحياة وموت وتقمّص وغير ذلك.

إنّ القارئ المتتبع لأدب جبران يستطيع أن يتلمّس الإبداع من خلال لغته الشعرية المتفردة، وأسلوبه المتميّز.

الْمَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ:

1-القرآن الكريم.

2-ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، الكتبة العصرية، بيروت، 1990.

3-أيوب، نبيل، نص القارئ المختلف، مكتبة لبنان، ط1، (د. ت.).

4-جبر، جميل، جبران الفيلسوف، مؤسسة نوفل، ط2، بيروت، 1983.

5-جبران ، جبران خليل، المؤلفات الكاملة، قدّم لها وأشرف عليها: ميخائيل نعيمة، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ط.)، 1949.

6-جدوع، عزة محمد، البديع دراسة في البنية والدلالة، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1429.

7-ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، الكليات الأزهرية، القاهرة، 1978.

8-الجيار، مدحت، موسيقى الشعر العربي (قضايا ومشكلات)، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، 1994.

9-الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003،

10- ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، (د. ت.).

11- عبّاس، فضل حسن، أساليب البيان، دار النفائس، عمّان، الأردن، ط2، 2009.

12- عتيق، عبد العزيز، علم البديع، دار النهضة، بيروت، ط1 ، 1985.

13- العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، مطبعة المقتطف، دار الكتب الخديوية، 1914.

14- قاسم، محمد أحمد/ ديب، محيي الدين ديب، علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2003.

15- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004.

16- المراغي، محمود أحمد حسن، في البلاغة العربية (علم البديع)، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ/ 1991.

17- ابن منظور الإفريقي المصري، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

18- الناعوري، عيسى أدب المهجر، دار المعارف، مصر، ط3، (د. ت.).

19- الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدّة، د. ط. 2017.

20- يوسف، حسني، موسيقى الشعر العربي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1989.

Sources and references:

1- The Holy Quran.
2- IBN Al-ATHEER, The Proverb in the Literature of the Writer and Poet, ed.: Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, The Modern Books, Beirut, 1990 AD.
3- AYOUB, Nabil, Text of the Different Reader, Lebanon Library, 1st edition, (ed. T.).
4- JABR, Jamil, Gibran the Philosopher, Nofal Foundation, 2nd edition, Beirut, 1983 AD.
5- GIBRAN, Gibran Khalil, the complete works, presented and supervised by: Mikhail Naima, Dar Sader, Beirut, Lebanon, (ed.), 1949 AD.
6- JADOUA, Azza Muhammad, Al-Badi', A Study in Structure and Meaning, Al-Rushd Library, Riyadh, 1st edition, 1429 AH.
7- IBN JAAFAR, Qudama, Criticism of Poetry, ed.: Muhammad Abdel Moneim Khafaji, Al-Azhar Colleges, Cairo, 1978 AD.
8- Al-JAYAR, Medhat, The Music of Arabic Poetry (Issues and Problems), Al-Ma'arif Foundation for Printing and Publishing, Cairo, 1994 AD.
9- Al-KHATIB Al-Qazwini, Muhammad bin Abd al-Rahman, Al-Idhah fi Ulum al-Balagha, ed.: Ibrahim Shams al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1st edition, 2003 AD.
10- IBN RASHIQ Al-Qayrawani, Abu Ali Al-Hassan, Al-Umda fi Mahasin Al-Sha'ar, Its Literature, and Its Criticism, edited by: Abdul Hamid Hindawi, Al-Maktabah Al-Asriyya, Beirut, Lebanon, 1st edition, (ed. T.).
11- ABBAS, Fadl Hassan, Methods of Statement, Dar Al-Nafais, Amman, Jordan, 2nd edition, 2009 AD.
12- ATIQ, Abdul Aziz, Alam al-Badi', Dar al-Nahda, Beirut, 1st edition, 1985 AD.
13- Al-ALAWI, Yahya bin Hamza, The Style Containing the Secrets of Rhetoric, Al-Muqtataf Press, Khedive Book House, 1914 AD.
14- QASIM, Muhammad Ahmad/Deeb, Mohieddin Deeb, Rhetorical Sciences (Al-Badi', Al-Bayan, and Al-Ma'ani), Modern Book Foundation, Tripoli, Lebanon, 1st edition, 2003 AD.
15- Cairo Arabic Language Academy, Intermediate Dictionary, Al-Shorouk International Library, Cairo, 4th edition, 2004 AD.
16- Al-MARAGHI, Mahmoud Ahmed Hassan, in Arabic Rhetoric (Ilm al-Badi'), Dar al-Ulum al-Arabiya, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1411 AH/1991.F , Dr. S. fi alnaqid al'adabi, 7st edition, Dar alm'aarif, Cairo, 1982 AD.
17- Ibn MANZUR al-Ifriqi al-Misri, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Makram, Lisan al-Arab, Dar Sader, Beirut, 3rd edition, 1414 AH.
18- Al-NAOURI, Issa Literature of the Diaspora, Dar Al-Maaref, Egypt, 3rd edition, (ed. T.).
19- Al-HASHEMI, Ahmed, Jawahir al-Balagha fi al-Ma'ani wa al-Bayan wa al-Badi', Hindawi Foundation, United Kingdom, Dr. i. 2017 AD.
20- YOUSSEF, Hosni, The Music of Arabic Poetry, Egyptian Book Authority, Cairo, 1989 AD.